﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧﴾ [محمّد ﷺ: 36 - 37]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلهما:

التّهوين من شأن الدّنيا من دواعي الثّبات على الجهاد

لمّا نهى النّظمُ الجليل المؤمنين في الآية السّابقة عن الوَهن والضَّعف، وأمرَهم بالتّشمير عن ساعد الجِدّ للجهاد، وعدمِ مهادنة الأعداء؛ لأنّهم هم الغالبون، ولأنّ الله تعالى معهم، ولن يضيع أجورَهم - جاءت هذه الآية بتأكيد المعنى، وذلك ببيان أنّ الدّنيا لا ينبغي للمؤمنين الحرصُ عليها؛ فإنّها ظِلٌّ زائل، وأنّ لذّاتِها مؤقَّتَة لا بقاءَ لها[1].

ومن المناسبة أيضًا: أنّه لمّا أتمّ الكلامَ عن العِلّة الأولى الصّادَّةِ عن الطّاعة؛ أقبل على العِلّة الثّانية التي تقود إلى المعصية الملائمة للشّهوة المُبطلة للأعمال الموجبةِ للتّهاون، المُؤدّي إلى عدم المغفرة؛ فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَعِبٞ﴾: (لعب) أصلٌ يدلّ على الذَّهابِ على غَيْرِ اسْتِقامَةٍ[3]. وأصلُ الكلمة اللُّعابُ، وهو البُزاق السّائل، وقد لَعَبَ يَلْعَبُ لَعْبًا: سال لُعابُهُ، ولَعِبَ فلانٌ: إذا كان فعلُه غيرَ قاصدٍ به مقصدًا صحيحًا[4]. واللّعِبُ: فِعْلُ ما لا فائدةَ فيه، وهو بمعنى الهَزْل، فهو ضِدّ الجِدّ[5]،

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 26/ 77.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 179.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لعب).
(4) الرّاغب، المفردات: (لعب).
(5) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (لعب).

فأخذَت دلالةَ اللّعِب من التّسيّب في الحركة والاضطراب، كَلُعاب الصّبي، فدلَّ على عدم القصد في الاتّجاه والتّصرف. ويقال لكلّ مَن عمل عملًا لا يُجدي عليه نفعًا: إنّما أنتَ لاعِب، ففيه معنى العَبَثيّة التي هي عدمُ القَصْد والجدوى[1]. والمُراد به في الآية الكريمة: الفعل الذي يريد به فاعلُه الهَزْل دونَ اجتناءِ فائدة[2].

2) ﴿وَلَهْوٌ﴾: (لهو، لهى، لها) أصلٌ يَدُلُّ على شُغْلٍ عَنْ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، وكلُّ شيء شَغلَكَ عن شيء، فقد ألْهاكَ، ولَهيتُ عن الشّيء، إذا تركتَه لغيره[3]. واللّهْو: ما شغلكَ من هَوًى أو طَرَب، وهو الصُّدوفُ عن الشّيء. ويقال: ألهيتُه إلهاءً، أي: شغلتُه[4]. وهو الانشغال عن مهمّات الأمور. يقال: لَهَوتُ بكذا، ولَهَيْتُ عن كذا، وقوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: 3] أي: متشاغلةً عمّا يَهمّها ويُعنيها[5]. والمراد به في الآية الكريمة: العملُ الذي يَصْرِف عن الجِدّ، وينشغل عمّا يَهمُّه[6].

3) ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾: (حَفَى، حفي، حفو) أصلٌ يدلّ على اسْتِقْصاءِ السُّؤال. وحَفيتُ إلَيْهِ في الوَصيَّةِ: بالغتُ، وتَحَفَّيْتُ به وأحْفَيْتُ: بالغتُ في إكْرامه، والحَفيُّ: المُسْتَقْصي في السُّؤالِ[7]. وأحْفاني: إذا بَرَّح بي في إلحاحٍ أو سؤال[8]. وأحْفى فلانٌ فلانًا: بَرَّحَ به في الإلْحاحِ عليه، أو سَأله فأكْثَرَ عليه في الطَّلَبِ[9]. وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: 187] أي: كأنّك استحفيتَ بالسّؤال عنها حتّى علمتَها، أي: أكثرت المسألة عنها. يقال: أحْفَى في سؤاله وألْحَفَ وألَحَّ، كلّه بمعنًى. قال تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾ أي: يُبالغ في مسألتكم، ولمّا اعتُبِر معنى المبالغة، قيل: فلانٌ حَفيٌّ بفلانٍ، أي: مبالغٌ في بِرِّه. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم: 47] أي: مبالِغًا في إيصال الخير إليّ[10]. والمراد به

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (لعب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 133.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لهو).
(4) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (لهو).
(5) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (لهو).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 133.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حفى).
(8) الخليل، العين: (حفو).
(9) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (حفو).
(10) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (حفي).

في الآية الكريمة: المبالغةُ في السّؤال والإلحاح فيه، وبلوغ الغاية في كلّ شيء[1].

4) ﴿تَبۡخَلُواْ﴾: (بخل) أصلٌ يدلّ على إمساكِ ما يُتَطلّب إخراجُه، فيمتنع عن إرساله[2]. فالبُخْلُ: إمساكُ المقتنيات عمّا لا يحِقّ حبسُها عنه، يقال: بَخِلَ فهو باخِلٌ، وأمّا البَخيل: فالذي يَكْثُر منه البُخلُ، كالرّحيم من الرّاحم. والبُخْلُ ضربان: بخلٌ بمقتنيات نفسه، وبخلٌ بمقتنيات غيره، وهو أكثرها ذَمًّا[3]. والبُخل ضِدُّ الكَرَم[4]. وهو في الشّرع يعني: مَنعُ الواجِبِ، وعند العرب: منعُ السّائِلِ مِمّا يَفْضُلُ عِنْدَهُ[5]. والمراد به في الآية الكريمة: الامتناع عن العطاء[6].

5) ﴿أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾: (ضغن) أصلٌ يدلّ على تغطية شيء في مَيْلٍ واعوجاج، ولا يدلُّ على خير[7]. والضَّغْنُ والضَّغينةُ: الحقد، وضَغِنَ عليه، أي: حقد[8]. وهو الحِقْدُ الشّديدُ، وجمعُه: أضْغانٌ. قال تعالى: ﴿أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾ [محمد ﷺ: 29][9]، ويقال: اضْطَغَنَ فلانٌ على فلان ضغينةً: إذا أضمرَها[10]. والمُراد به في الآية الكريمة: الأحقاد[11].

المَعْنى الإجْماليُّ:

تزهيدُ العِباد بالحياة المتّصفة بالنّفاد تثبيتًا على الأمر بالجهاد

يقول الله تعالى لعباده المؤمنين: اعلموا أنّما الحياة الدّنيا لعبٌ ولَهْوٌ وباطلٌ زائل، فلا يَشغلُكم ذلك عن العمل الصّالح الذي هو

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 35.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (بخل).
(3) الرّاغب، المفردات: (بخل).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (بخل).
(5) الفيوميّ، المصباح المنير: (بخل).
(6) البقاعيّ، نظم الدرر: 18/ 267.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضغن).
(8) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة: (ضغن).
(9) الرّاغب، المفردات: (ضغن).
(10) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ضغن).
(11) القنوجيّ، فتح البيان: 13/ 80.

زادُكم في الآخرة، وهو علامةُ الإيمان والتّقوى، ولذلك بيّن لهم جزاءَ الإيمانِ والتّقوى، فقال: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾. والمعنى: إنّ تؤمنوا باللّه تعالى وتتّقوه يُؤْتِكُم ثوابَ أعمالِكم وافيَةً، وإنّه تعالى لا يأمرُكم بإنفاق جميعِ أموالكم، بل يأمرُكم بإخراج القليل منها، وهو رُبُع العُشْرِ للزّكاة، مواساةً للفقراء، مع أنّ نفع ذلك عائدٌ إليكم لا إلى غيركم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرّ فَصْلِ جملة: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾:

وصفُ الحياةِ باللّعِب واللّهْو يقتضي عدمَ الإنصرافِ إليها

فَصَلَ النّظمُ الجليل جملةَ ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنّها مستأنَفةٌ استئنافًا تعليليًّا، سيقت لتعليل مضمون قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾، فقَصْرُ الحياةِ على اللّعب يقتضي عدمَ الانصرافِ إليها وتركِ الجهاد[2].

بلاغة الحَصْر بـ ﴿إِنَّمَا﴾:

شأنُ الدّنيا اللّعبُ واللّهْو في الغالب

عبّر النّظمُ الجليل بأسلوب الحصر بـ ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، فَقَصَرَ شأنَ الدّنيا على اللّعب واللّهْو، وهو قَصْرٌ إضافيٌّ؛ إذِ الدّنيا لا تقتصر على ذلك، ففيها يُعْبَدُ اللّه، ويُجاهَدُ في سبيله، فجعلها محصورةً على اللّعب واللّهْو في الغالب، وذلك لانشغال النّاس بهما، وهما السّببُ في شِدّة تعلّق النّاس بالدّنيا، والمُراد من الحَصْر هنا الإشارةُ إلى حقارة الدّنيا[3].

بلاغة التّشبيه:

عبّر النّظمُ الجليل بأسلوب التّشبيه في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 26/ 77.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 132.
(3) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 114.

تحذير المؤمنين من التّعلّق بالدّنيا وتركِ الآخرة

﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾، وهو تشبيه بليغ؛ حيثُ حُذِفت منه الأداةُ ووجهُ الشَّبَهِ، فَشَبَّه أحوالَ الدّنيا باللّعب واللّهْو، ووَجْهُ الشّبهِ: عدمُ ترتّبِ فائدةٍ ونفعٍ عليها؛ وذلك لأنّها تفنى وتنقضي. والغَرضُ منه: تحذير المؤمنين منِ انصرافهم عن الجهاد ومقابلةِ العَدوِّ بسبب حُبِّ الدّنيا ومَلذّاتها[1]، وتقريرُ حالةِ الدّنيا وقيمتِها في ذِهْن السّامع؛ فلا يَغْتَرَّ بها.

سرّ وصفِ ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ﴾ بـ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾:

الحياة الدّنيا زائلةٌ، فلا ينبغي للعاقل صرفُ الجُهد في مَلذّاتها

وصف النّظمُ الجليل ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ﴾ بصفة ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾، مع أنّه ورد في بعض الآيات الاكتفاءُ بلفظ الدّنيا؛ لكنّه ورد في هذا الموضع بوصف الحياة بالدّنيا؛ لتَعلّق النّاسِ بها، يُؤكِّد هذا التّعبيرُ باللّعب واللّهْو، وهما مرتبطان بحياة الصّبا والشّباب؛ لذلك أراد التّهوينَ من شأنها، حتّى لا يَزداد تعلّقُ النّاس بها، ولا سيما الشّباب؛ فكان التّعبيرُ بقوله: ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ وذلك لبيان دناءتِها وتهوينِ شأنِها عند الله تعالى، والمُراد به: تنفيرُ المُؤمنين عنها[2].

دلالة (أل) في ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾:

الحياةُ الدّنيا المعروفة التي يحياها النّاسُ

(أل) في ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ للتّعريف، والمرادُ بها الحياةُ المعروفة التي يحياها النّاسُ، ويعيش فيها الخَلْقُ بالأجل المَضروبِ لها من الله، وبأحوالها التي قَدّرها الله لها، ومع كلّ ما فيها من اللّذائذ والمُتَع؛ فهي موصوفةٌ بالدّنيا؛ فلا ينبغي إيثارُها على الآخرة.

دلالة التّنكير في قوله: ﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾:

التّنكير للتّهوين من شأنها، والتّقليل من نفعها

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن اللّهْو واللّعب بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾؛ تهوينًا لشأنها،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 133.
(2) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 35.

وتقليلًا لنفعها، فهي أعمالٌ ضائعة سافلة، ومشاغلُ تُثير اللّذّاتِ، لا طائلَ من ورائها[1].

علّة تقديم اللّعب على اللّهْو:

اللّعب علّةٌ للهوِ وآلةٌ له

قدّم النّظمُ الجليل ذِكْر اللّعب على اللّهْو في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، مع أنّه في بعض الآيات قَدّمَ اللّهْو على اللّعب، ولكلّ موضعٍ سياقُه المناسبُ لتقديم كُلٍّ منهما أو تأخيرِه. وهنا قَدّمَ اللّعبَ على اللّهْو؛ لأنّ اللّعب يدلّ على فعلٍ ما لا فائدةَ فيه، وهو بمعنى الهَزْل، فهو ضِدُّ الجِدّ[2]، واللّهْو يدلّ على الاشتغال عنِ الشّيء بشيء آخر[3]؛ فقَدَّم اللّعبَ لأنّه يجري مجرى السّببِ للهو. فَعِلّةُ اللّهْو وجودُ اللّعبِ؛ لأنّ الانصراف عن النّافع إلى غيره، والانشغالَ عن المفيد – وهو مدلول اللّهْو – إنّما كان بسبب فعلٍ ما لا فائدةَ منه، وهو مدلولُ اللّعب، فاللّعبُ يُسبِّبُ اللّهْو وهو أصلُه، فَقُدِّم عليه.

وممّا يُذْكَر في سرّ تقديم اللّعب على اللّهْو: أنّ اللّعِبَ يتعلّق بزَمن الصّبا، واللّهْو بزمن الشّباب، وزمانُ الصّبا مُقدَّمٌ على زمان الشّباب. ويمكن أن يقال في عِلّة التّقديم: أنّه جاء مناسبًا لمَقْصِد السّورة، وهو الحَثّ على الجهاد؛ فبدأ باللّعب الذي لا جَدْوَى منه؛ بخلاف اللّهْو، فقد يُتَوهَّم وجودُ منفعةٍ فيه، والقرآن في هذا الموضع أراد إرشادَ المؤمنين إلى الحَقّ والجِدّ، وذلك بالجهاد والإنفاق، وليس باللّعِبِ واللّهْو. يُؤكِّدُ هذا: أنّ الخطاب قبل هذه الآيةِ للمؤمنين بالأمر بالطّاعة لله ولرسوله، وإعلامِهم بحال عدوِّهم من الكفّار[4].

سرّ الجمعِ بين اللّعب واللّهْو:

بين اللّعب واللّهْو عمومٌ وخصوصٌ وجهيٌّ

جمع القرآنُ الكريم بين اللّعب واللّهْو في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 35.
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (لعب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لهو).
(4) ابن الزّبير، ملاك التّأويل: 1/ 156.

﴿ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾؛ وذلك لما بينهما من علاقة قَويّة؛ فبينهما عمومٌ وخصوص وجهيٌّ؛ فهما يجتمعان في العمل الذي فيه ملاءمةٌ ويقارنُه شيءٌ من الخِفّة والطّيش؛ كالطّرب واللّهْو بالنّساء، وينفرد اللّعبُ في لَعِب الصّبيان، وينفردُ اللّهْو في لهو الشّباب؛ نحو: الميسر والصّيد[1].

دلالة العطف بالواو في قوله: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ﴾:

الإيمان والتّقوى تذكيرٌ بوجوب امتثال النّهي عن الوهن

عَطَفَ النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ﴾ بالواو على الجملة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾، وفائدة هذا العطفِ التّذكيرُ "بأنّ امتثالَ هذا النّهي هو التّقوى المحمودةُ، ولأنّ الدّعاءَ إلى السَّلْم قد يكون الباعثُ عليه حُبَّ إبقاءِ المالِ الذي يُنفق في الغَزو، فذُكِّروا هنا بالإيمان والتّقوى؛ ليَخْلَعوا عن أنفسهم الوَهْنَ؛ لأنّهم نُهوا عنه وعن الدّعاء إلى السَّلْم، فكان الكَفُّ عن ذلك من التّقوى"[2]. كما أنّه إعادةٌ للوَعد المذكور في الآية السّابقة: ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾[3].

دلالة التّعبير بـ (إنْ):

الـدّوام على الإيمان لا افتراضُ وقوعِه

عبّر النّظم الجليل بحرف الشّرط (إنْ) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ﴾؛ وذلك لأنّ المخاطَبين بالآية هم مؤمنون، فوقوعُ الإيمانِ في الشّرط لا يُراد منه تحقيقُ الإيمان؛ لكونه مُحقَّقًا حاصِلًا، فالمُراد من الشّرط الدّوامُ على الإيمان، لا افتراضُ وقوعه[4]، فلذا جاء بالأداة الدّالّة على التّوقّع والافتراض.

دلالة التّعبير بأسلوب الشّرط:

جاء التّعبير بأسلوب الشّرط بقوله: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 193.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 133.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 62.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 134.

أُجُورَكُمْ﴾؛ وذلك بتعليق إيتاء الأجر بالمداومة على الإيمان؛ للدّلالة على وقوع ذلك الجزاءِ على وجه اليقين، فجرى ذِكْرُه كطريقة التّعاقد. وفيه دعوةٌ إلى المداومة على الإيمان والتّقوى؛ لتحصيل الأجر العظيم الذي أعدَّهُ الله لمَن امتثلَ أمرَ الإيمانِ، والتزمَ التّقوى، ولبيان أنّ الإيمان والتّقوى هما طريقُ السّعادةِ في الدّنيا والآخرة.

تعليقُ إيتاء الأجر بالمداومة على الإيمان؛ للدّلالة على وقوع الجزاءِ على وجه اليقين

دلالة التّعبير بالمضارع في قوله: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾:

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالفعل المضارع في فعل الشّرط في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾؛ للدّلالة على الدّوام على الإيمان والتّقوى وتجدُّدِهما، وأنّ إيتاءَ الأجرِ إنّما يكون بشرط الدّوام عليهما.

تحقّقُ الجزاءِ يكون بالمداومة على الإيمان والتّقوى

دلالة عطفِ التّقوى على الإيمان:

عطف النّظمُ الجليل التّقوى على الإيمان في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾؛ للدّلالة على أنّ مُطلَق الإيمانِ لا يكفي في تحقيق الأجور، بل العملُ هو ما يُصَدّق الإيمانَ، فالإيمانُ اعتقادٌ والتّقوى عملٌ، أي: "وإن تؤمنوا بالله وتتّقوا الكُفرَ والمعاصي"[1].

الإيمانُ ما وقرَ في القلب وصَدّقه العملُ

سرّ تقديم الإيمان على التّقوى:

قَدّمَ النّظمُ القرآنيُّ الإيمانَ على التّقوى في قوله: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾؛ لأنّ الإيمان بالله وبرسوله يأتي أوّلًا؛ ثمّ بعدَ ذلك تأتي التّقوى؛ التي هي امتثالٌ لكلّ ما أمر الله به، واجتنابٌ لكلّ ما نهى الله عنه، وعلى ذلك تكون مرتبةُ التّقوى أعلى من مرتبة الإيمان.

الإيمان بالله ورسوله أوّلًا ثمّ التّقوى؛ فمَرتبةُ التّقوى أعلى من مرتبة الإيمان

دلالةُ حَذْفِ متعلّق ﴿تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾:

حُذِفَ متعلّق كُلٍّ من الإيمان والتّقوى في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ

(1) القنوجيّ، فتح البيان: 13/ 79.

وَتَتَّقُواْ﴾؛ لإفادة العموم، وهو الإيمانُ بكلِّ الأركان، ولا يكون إيمانُ العبدِ كاملًا إلّا إذا تحقّقَ بكلِّ هذه الأركانِ. وكذلك مع التّقوى حُذِفَ المُتعلَّقُ لإفادة العموم، والمُراد: اجتنابُ كُلِّ أنواعِ المخالفات والمعاصي، التي توصِلُ إلى غضب اللّه تعالى؛ فضلًا عن الحِرمان من الثّواب.

حُـذِفَ متعلّقُ الإيمان والتّقوى لإفادة العموم

سرّ التّعبير بالإيتاء في قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ﴾:

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالإيتاء في قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ﴾؛ لأنّه يُستعمَل في الأمر العظيم والعطاء الكثير؛ لذلك كان مناسبًا أن يُعَبّر به مع الأجر، وفي هذا ترغيبٌ بالإيمان والتّقوى؛ للفَوز بالأجر العظيم؛ لأنّ الذي يُعطيه هو اللّه تعالى.

يُستعمَل الإيتاء في الأمر العظيم والعطاء الكثير

دلالة التّعبير بالجواب فعلًا مضارعًا:

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الإيتاء في جواب الشّرط بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾؛ وذلك للدّلالة على دوام منحتِه لهم، وتَجدُّدِ إكرامِه بالإيفاء بمجازاتهم، تعبيرًا عن سعة رزقِه ورحمتِه.

الإكـرام الإلـهيّ مـتـجـدّدٌ غـيرُ منقطعٍ

دلالة التّعبير بالأجور جمعًا:

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الأجر بصيغة الجمع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾؛ للدّلالة على أنّ الأعمال كثيرةٌ، فكانت الأجورُ كثيرةً تبعًا لها، أي: "ثوابُ كلِّ أعمالكم ببنائها على الأساس، ولأنّه غنيٌّ لا يُنقِصُهُ الإعطاء"[1].

كـثرةُ الأجـور دلالـةٌ عـلى كـثرة الأعـمال الصّالحة

سرّ التّعبير بالأجر دونَ غيرِه:

آثَر القرآنُ الكريم التّعبير بالأجر دون الجزاء أو الثّواب؛ لأنّ الأجر يَحْمِلُ معنيين: **الأوّل:** جزاء العمل، **والثّاني:** جبرُ العَظْمِ

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 35.

المَكسور. وهذا المعنى واضحٌ في أُجرة العامل؛ لأنّها بمنزلة تعويضِه عمّا بَذله من جُهْد؛ فهذا التّعويضُ كأنّه شيءٌ يُجْبَر به كما يُجْبَر العَظمُ المَكسور، ولأنّ الأجر في القرآن لا بدّ وأن يسبقَه عملٌ وجُهْدٌ، وهذا واضحٌ في سياق الآيات، منِ امتثال الطّاعة للّه ورسوله في فعل الخيرات وتلبية الجهاد[1].

الأجر جَبرٌ وتعويضٌ عمّا بَذله العاملُ من جُهْد

دلالة إضافةِ الأُجور إلى ضمير المخاطَبين:

إضافةُ الأُجورِ إلى ضمير المخاطَبين في قوله: ﴿أُجُورَكُمْ﴾؛ للدّلالة على أنّ هذه الأُجور هي جزاءٌ عن أعمالهم التي قدّموها[2]، فهو تبشيرٌ لهم بأنّ أعمالَهم تُثْمِر الأُجور، وأنّ اللّه تعالى يُجازيهم عليها.

الأعمالُ الصّالحة تُثْمِر الأُجور، ويُجازي اللّه العاملين عليها

دلالة عطفِ نفي سؤالِ المالِ على إيتاء الأجور:

عطف النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ على جملة جواب الشّرط[3]، وهي قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾؛ للدّلالة على أنّ اللّه تعالى يتفضّل عليهم بالخيرات، وذلك بإيتاء أُجورِهم تفضّلًا منه، فلا يحتاج إلى أموالهم.

إيتاءُ الأجر تفضُّلٌ منَ الله بلا كُلفةٍ في مالهم

سرّ ذِكْر المالِ في الجملة المعطوفة على الجواب:

ذُكِرَ المالُ في الجملة المعطوفة على الجواب في قوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾، في سياق ذِكْر النّهي عن الوَهْن والدّعاء إلى السَّلْم؛ لأنّ المالَ والاهتمام به من أهمّ بواعث الدّعاء إلى السَّلْم[4].

المالُ والاهتمام به من أهمّ بواعث الدّعاء إلى السَّلْم

سرّ التّعبيرِ بالسّؤال دونَ الطّلب:

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالسّؤال دونَ الطّلب في قوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ﴾؛ لوجود فرقٍ بينهما؛ فالسّؤال لا يكون إلّا كلامًا، والطّلب يكون بالسّعي. وأيضًا: فإنّ السّؤال استدعاءُ معرفةٍ أو ما يُؤدّي

لمّا كان السّؤال يتعلّق باستدعاء المال أو ما يُؤدّي إليه؛ ناسبَ التّعبيرُ به دونَ الطّلب

(1) محمّد داوود، الفروق الدّلاليّة، ص: 47.
(2) ابن الأحنف، البستان في إعراب مشكلات القرآن: 3/ 90.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 239.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 134.

إلى المعرفة، واستدعاءُ مالٍ أو ما يُؤدّي إلى المال؛ فلمّا كان السّؤال يتعلّق باستدعاء المال؛ ناسبَ التّعبيرُ به في قوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾؛ بخلاف الطّلب فإنّه يُطلَق على الفَحْص عن وجود الشّيء عينًا كان أو معنًى، وهذا غير مناسب لسياق الآية[1].

دلالة التّعبير بالمضارع المَنفيّ ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ﴾:

رفعُ المشقّة عن العباد في عدم تكليفهم بما لا يطيقون

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالفعل المضارع المَنفيِّ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾؛ للدّلالة على تجدّد انتفاء سؤالِهم أموالَهم، وأنّه حكمٌ دائم مستمرّ، فنفيُ المضارعِ يدلّ على تجدّد النّفي، لا على نفي التّجدّد.

دلالة التّعبير بالأموال جمعًا مضافًا:

لا يريد الله تعالى العنتَ بعباده فلا يسألهم عمومَ أموالِهم

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الأموال بصيغة الجمع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾؛ للدّلالة على أنّه لا يسألهم جميعَ مالِهم، بل المسؤولُ منها جُزءٌ يسير، وهو رُبُع العشر[2]. وإضافته تدلّ على العموم؛ لأنّ الجمع عند إضافته يكون من صيغ العموم، فالمُراد: جميع أموالكم[3]؛ وذلك لأنّ سؤال جميعِ الأموال سيُخلّ بالمعاش، فلذا اقتصر على جُزء يسير منها[4].

سرّ فصلِ قوله: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾:

عدمُ سؤالِه لعموم الأموال لعلمه سبحانه بطبيعة الإنسان

فَصَلَ النّظمُ الجليل جملةَ: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنّها سيقت لتعليل النّفي السّابق، فلمّا قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أتبعَه ببيان عِلّة عدمِ سؤالِه جميعَ أموالهم[5]، فالجملة استئنافٌ تعليليٌّ.

(1) الرّاغب، المفردات: (سأل، طلب).
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 62.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 27/ 220.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 102.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 135.

سرّ التّعبير بأسلوب الشّرط:

البُخل متعلّق بسؤال جميع الأموال تعلّقَ السّببِ بالمُسبَّب

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بأسلوب الشّرط في قوله: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ﴾؛ لأنّ البُخل متعلّق بسؤال جميع الأموال تعلّقَ السّببِ بالمُسبَّب، فوقوعُه حتميّ مؤكَّد.

دلالة التّعبير بـ ﴿إن﴾ في قوله: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾:

استخدام (إنْ) دالٌّ على القِلّة في وقوع الحَدَث في بعض معانيها

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بـ ﴿إن﴾ في قوله: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾ دونَ غيرِها؛ لأنّها تدلّ على القِلّة في وقوع الحَدَث في بعض معانيها، وهو المناسِبُ هنا لما تقدَّم من قوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾، ولو سألكم لبَخِلتم، ولا تعطوا شيئًا؛ فأمرُ السّؤال هنا مبنيٌّ على الفَرَض؛ أي: إن يَأْمُركُم بإخراج جميع أموالِكم تبخلوا بها.

دلالة التّعبير عن السّؤال بالفعل المضارع:

السّؤال المتُجدّد يُظهِر البُخلَ ظهورًا متجدّدًا

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالفعل المضارع في فعل الشّرط في قوله جلّ شأنه: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾؛ للدّلالة على أنّ تجدّد الشّرط يدلُّ على تجدُّدِ الجوابِ على الدّوام، فتكرارُ سؤالِهم الأموالَ سيتكرَّرُ معه البُخلُ.

سرّ العطفِ بالفاء في قوله: ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾:

الإحفاءُ يَعْقِبُ السّؤالَ ويتسبّب عنه

عطف النّظمُ الجليل الإحفاءَ على السّؤال في الشّرط في قوله جلّ شأنه: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾؛ لجعل كِلا الفعلين للشّرط[1]، وإنّما آثَر العطفَ بالفاء للإشارة إلى أنّ الإحفاء يَعْقِبُ السّؤالَ ويتعلّقُ به، فلا يكون إحفاءً إلّا بتقدّم السّؤال[2]، وهذا المعنى لا يتأتّى من العطف بالواو؛ لأنّ العطف بالواو يكون للمِثْلَين[3].

(1) السمين الحلبي، الدّرّ المصون: 9/ 707.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 63.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 328.

سرّ التّعبير بالإحفاء في قوله: ﴿فَيُحۡفِكۡكُمۡ﴾:

الإحفاء المبالغةُ وبلوغُ الغاية في طلب الشّيء

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالإحفاء في قوله: ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكۡكُمۡ تَبۡخَلُواْ﴾؛ لأنّه يحمل معنى المبالغة، وبلوغِ الغاية في طلب الشّيء، يقال: أحفى شاربَه إذا استأصله؛ أي: أخذ أصلَه، وهو كنايةٌ عن أخذ الجميع؛ فيكون المعنى: فيُجْهِدُكم بطَلَبِ الكلِّ، وفي ذلك مشقّةٌ عليكم، وهذا غيرُ مُراد[1].

دلالة التّعبير عن الإحفاء بالمضارع:

تجدّدُ الإحفاء تبعًا لتجدّد السّؤال

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الإحفاء بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكۡكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾؛ لأنّه مُسَبَّبٌ عن السّؤال، والسّؤال جيء به بصيغة الفعل المضارع، فكان متجدّدًا، فيكون الإحفاء في السّؤال متجدِّدًا كذلك.

دلالة التّعبير بجواب الشّرط فعلًا مضارعًا:

لو تكرّر السّؤال لتكرّر البُخل

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالفعل المضارع في جواب الشّرط في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكۡكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾؛ للدّلالة على تجدّده بتجدُّد الشّرطِ، فلو طلبها على وجه التّكرار والاستمرار لظهر منكم البُخلُ على الدّوام.

سرّ التّعبير بالبُخل في قوله: ﴿تَبۡخَلُواْ﴾:

البُخل منعُ ما يرتضيه الشّرعُ والمُروءة

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالبُخل في قوله: ﴿تَبۡخَلُواْ﴾؛ لأنّ البُخل معناه عدمُ الإعطاء، وهذا بيانٌ لطبيعة النّفس التي تحرص على اقتناء المال، ولمّا كان الأمر يتعلّق بالإنفاق على الجهاد، أو في أمر الزّكاة؛ كان المُراد بالبُخل منعَ ما يرتضيه الشّرعُ والمُروءة، ولا سيما إذا كان السّؤال للمال كلّه.

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 48.

دلالة عطفِ الإخراج على البُخل:

إظهارُ الضّغائن متحتّمٌ لو وقع السّؤالُ بعموم الأموال

عطف النّظمُ الجليل إخراجَ الأضغانِ على البُخل[1] في قوله جلّ شأنه: ﴿تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾؛ لأنّ سؤال الأموال علّةٌ في إخراج الضّغائن، فقد راعى الله تعالى بعدم سؤالِ عموم الأموال حالَ كثيرٍ من النّاس في المدينة، ممّن هم حديثو عهدٍ بالإسلام، وقد بذل بعضُهم من ماله للمهاجرين، فلم يسألهمُ الله تعالى زيادةً على ذلك، وكان بينهم من أهل النّفاق من يترصّد الفُرصَ للفتنة، كما حكى القرآنُ الكريم عنهم: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ [المنافقون: 7]، فعَطْفُ إخراجِ الضّغائن يدلّ على أنّ الضّغائن قد حدثت، فيكون السّؤالُ علّةً في ظهورها[2].

دلالة التّعبير بالإخراج مادّةً وصيغةً:

إظهارُ الأضغان وإبرازُها مع تكرار ظهورها وتجدّدها

عبّر النّظمُ الجليل بالإخراج في قوله جلّ شأنه: ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾؛ للدّلالة على إظهار الأضغان وإبرازها[3]، وجاء التّعبيرُ بصيغة المضارع للدّلالة على تكرار وتجدّد ظهور الضّغائن.

سرّ التّعبير بالأضغان في قوله: ﴿أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾:

الضّغنُ يدلّ على قوّة الحِقد وشدّته مع محاولة إخفائه

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالأضغان في قوله: ﴿وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾ دونَ الأحقاد؛ لأنّ الأضغان تدلّ على الحقد الشّديد والخفيّ، ولأنّ الإضغان في اللّغة معناه الاشتمال بالثّوب وبالسّلاح، وهما يُشيران إلى قوّة الحقد ومحاولةِ إخفائه، ولذلك جاء وصفُ الضّغن مع المنافقين؛ لأنّهم يحقدون على المسلمين حِقدًا شديدًا. وممّا يُؤكّد هذا أنّ البنية اللّغويّة لمادة (ضغن) أقوى من مادة

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 228.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 135.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 63.

(حقد)؛ فالصّفات الموجودة في الضّاد تُدَلّل على ذلك؛ ففيها الشّدّة والاستعلاء.

دلالة التّعبير عن الأضغان جمعًا مضافًا:

لـكـلّ إنـسـان نـصـيـبٌ مـن الضّغن إلّا من عَصَمَه الله

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الأضغان بصيغة الجمع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾؛ للدّلالة على كثرتها، ودلّت إضافتُها للضّمير على أنّ " كلّ إنسانٍ ينطوي بما له من النّقصان، على ما جُبِلَ عليه من الأضغان، إلّا مَن عصمَ الرّحيمُ الرّحمن"[1].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 267.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"